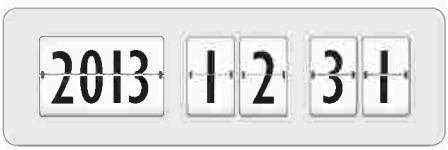

واصلت هيلاري سرد قصتها في جلستنا التالية قائلة: أوائل عام 1999م، بذلت محاولة لانتشال نفسي من قصة لوينسكي، متعبة من الصراع المستمر المميز للعيش في البيت الأبيض كما من التعلق بذيل بل، علي أن أقر، قررت الترشح لمقعد مجلس الشيوخ في نيويورك الذي كان يشغله السيناتور دانييل باتريك موينهان الذي كان موشكًا على التقاعد، نسجت تحالفًا بين جماعات أقلية مدينية، ديمقراطيي غيولياني، والناخبين البيض في شمال الولاية، قيل لي إن جمعها أمر مستحيل. ذلك يثبت أن على المرء ألا يصغي إلا إلى نفسه.

قلت: صحيح يا هيلاري، إصغاؤك إلى نفسك هو ما يجعلك قائدة.

ابتسمت وقالت: اشترينا البيت في تشاباكوا لتأسيس مسكن في نيويورك، وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام 2000م، طرت فرحًا إذ انتُخبت عضوة في مجلس شيوخ الولايات المتحدة. كانت هذه وظيفة عشقتها من اليوم الأول.

أما بل فقد تقاعد بعد ترك الرئاسة في العشرين من كانون الثاني/يناير، افتتح مكتبًا في هارلم، وبدأ يكتب سيرته الذاتية، وكتاب حياتي نُشر في عامخ 2004م وأصبح الأكثر رواجًا؛ كسب كثيرًا من المال – أكثر مني خلافًا للعادة –

حصل بل على مبلغ عشرة ملايين دولار سلفًا، فيما لم أحصل أنا مقابل سيرتي الذاتية إلا على ثمانية ملايين! كانت المرة الأولى التي تنجح فيها حياة بل الفوضوية في كسب دخل كبير، من دون أن يعني ذلك أنه لم يكن على الدوام جديرًا بما هو أكثر. ومما سرنا أن مكتبته الرئاسية فتحت أبوابها في تشرين الثاني/نوفمبر عام 2004م على ضفة نهر ليتل روك، ابتهجنا لامتلاك مكتبة كاملة مكرسة لرئاسته.

ثم سافر بل كثيرًا حول العالم، ولاسيما إلى إفريقيا وآسيا؛ حيث أطلق محاولات لاستيراد الأدوية ومكافحة وباء الإيدز. وفي عام 2005م عينه الرئيس جورج دبليو بوش مع الرئيس الأسبق بوش لإدارة جهود الإغاثة الإنسانية لضحايا التسونامي الذي قتل أكثر من مئتي ألف إنسان على شواطئ المحيط الهندي أواخر كانون الأول/ديسمبر عام 2004م. وفي عام 2010م بادر بل وجورج دبليو بوش إلى إيجاد صندوق كلينتون/بوش لهاييتي؛ من أجل مساعدة أهل هاييتي بعد الزلزال الذي ضرب الجزيرة في كانون الثاني/يناير. هل تستطيعين أن تصدقي أن رئيس جمهورية جمهوري وديمقراطي سابقين تمكنا من التعاون بمثل هذا النجاح؟

بعد أن أصبحت سيناتورًا، أدرك حتى الجمهوريون الذين توقعت استقبالهم ببرود شديد أن بوسعنا أن نتعاون وراحوا يعبرون على مضض عن احترامهم لي، يبدو أن قاعدتي كانت هي الأخرى ناجحة؛ ففي انتخابات ألـ 2000م أيَّد إطفائيو نيويورك منافسي الجمهوري على مقعد مجلس الشيوخ، أما بعد ست سنوات حين ترشحت لإعادة الانتخاب، فإن الإطفائيين بادروا علنًا إلى تأييدي قبل أن يقدم أي جمهوري بإلقاء قبعته (ها) في الحلبة.

ومع أني أديت قسم عضوية مجلس الشيوخ في الأول من كانون الثاني/يناير عام 2001م، فقد بقيت السيدة الأولى حتى العشرين من كانون الثاني/يناير. شغلت في الوقت نفسه ولمدة عشرين يومًا عضوية أحد فروع الحكم من

جهة وزوجًا لرئيس فرع آخر، مسجلة تفوقًا تاريخيًّا آخر بوصفي شاغلة هذين المنصبين في فرعين من فروع الحكم في وقت واحد، شعرت بشيء من الدوار وأنا أقفز من منصب إلى آخر، غير أن عزائي تمثل بأن الأمر لم يدم سوى عشرين يومًا. في السنة الأولى، عاكفة على العمل لفهم ولايتي ووظيفتي الجديدتين، تعمدت الاضطلاع بأدوار عامة متواضعة أنموذجية بالنسبة إلى جل أعضاء مجلس الشيوخ في سنواتهم الأولى.

فرحت كثيرًا بإعادة انتخابي في عام 2006م، إذ فزت بما يزيد على نسبة (67) بالمئة من الأصوات الشعبية في ولاية نيويورك؛ ففي تشرين الثاني/نوفمبر عام 2007م، كنت متمتعة بتأييد ستين بالمئة، وفي شباط/فبراير عام 2008م، تحدثت الواشنطن بوست عن كوني من أعضاء مجلس الشيوخ الأوائل العشر المطالبين بتأمين مخصصات اتحادية لولايتي، بما تمخض عن تحصيل مبلغ قياسي لنيويورك وصل إلى (342) مليونًا من الدولارات، وفي مجلس الشيوخ أصبحت معارضة قوية للحرب العراقية.

ثم راحت تفسر: على الرغم من تصويتي في عام 2002م مؤيدة الاجتياح الأولي، فإنني ما كنت (لو كنت أعرف ما أعرفه الآن) قد اقترعت موافقة، فيما بعد صوتت ضد الحرب، بما في ذلك زيادة حجم القوات، ومع النداءات الداعية إلى سحب القوات.

قلت: ماذا؟ رافعة رأسي. لم أكن مقتنعة مئة بالمئة.

تابعت هيلاري كلامها من دون التعليق على نزعة الشك التي عبرت عنها؛ إما أنها لم تنتبه وهو صعب التصديق، أو أنها لم تهتم، قائلة: أضفت تنوعًا واسعًا من الأسباب التي كانت مهمة لوجودي في مجلس الشيوخ، مثل توسيع نطاق تنظيم الأسرة وموانع الحمل إضافة إلى دعم الحؤول، من خلال التثقيف، دون الحمل غير المرغوب فيه. سارعت إلى التدخل حين كشفت وسائل الإعلام

عن أن لعبة فيديو شعبية متضمنة مشاهد إباحية، أثارت اشمئزازي. فعرض ذلك أمام أعين الأطفال غير جائز، أليس كذلك؟ غريب!

على الرغم من أن بل يتهمني أحيانًا بالاحتشام الزائد، فإنه لم يستطع أن يمنعني من المشاركة في رعاية قانون حماية التسلية العائلية الداعي إلى قدر أكبر من التشدد في (التصنيف) ووسائل أفضل لتطبيق التوجيهات النافذة. في آذار/مارس عام 2007م، اقترحت قانون عد الأصوات كلها في مجلس الشيوخ، الذي اشترط استعمال النسخ الورقية للأصوات الإلكترونية معيارًا لتكرار العد. كذلك زاد القانون من تشدد ضوابط أمن آلة الاقتراع الإلكترونية.

إبان عضويتي لمجلس الشيوخ كنت في عدد من اللجان الرئيسة، بين هيئات أخرى، كنت عضوة في لجنة القوات المسلحة؛ لجنة البيئة والأشغال العامة؛ لجنة الصحة، العمل، والمعاشات التقاعدية، وتكريمًا لأبوي الراحلين أسهمت في إيجاد لجنة خاصة لرعاية المسنين.

اقترحت (377) مشروع قانون بين كانون الثاني/يناير عام 2001م وآب/أغسطس عام 2008م. (323) منها قُتلت في اللجان، مكسبة إياي مرتبة (شديدة الضعف) في العلاقة مع زملائي – لاغرابة حين ترى مدى كُره الجمهوريين لي. اعتُمدت عشرة من هذه الاقتراحات فأصبحت قوانين، كما شاركت في رعاية (1858) مشروعًا آخر بقوانين.

في مجلس الشيوخ اقترعت وفق خط الحزب الديمقراطي في نحو (97) بالمئة من المرات، وبعد هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر المرعبة، شعرت باعتزاز لمبادرتي إلى إطلاق صندوق بمبلغ (4, 21) مليارًا من الدولارات للمساعدة على إزالة الأنقاض وإعادة البناء، لتوفير المتابعة الصحية لمتطوعي موقع الحادثة (الغراوند زيرو)، ولإيجاد منح من أجل تنمية جديدة.

في عام 2005م، أصدرت دراستين عاينتا إنفاق أرصدة الأمن الوطني الاتحادي على اللجان المحلية وأوائل المستجيبين. أكدَّت زيادة القوات الأمريكية في أفغانستان والعراق في أثناء الحرب في تينك الدولتين، كثر كلام الجنود عني قائلين إني كنت أبدو مثل نجوم الروك.

على الملأ كما في عملي داخل مجلس الشيوخ، أصبحت أيضًا داعية قومية لرفع مستوى الخدمات الصحية الموفرة لقدماء المحاربين، وبوصفي نصيرة ولاية نيويورك، اضطلعت بقيادة جهد مدعوم من الحزبين لتوفير سبل الوصول العريض إلى المجتمعات الريفية، شاركت في رعاية قانون البحث والتطوير الخاص بتكنولوجيا النانو في القرن الواحد والعشرين، أضفت اللغة في مشروع قانون الطاقة لتزويد إنشاء المشروعات الواعية بيئيًّا بمرجعية ملزمة معفاة من الرسوم، واقترحت تعديلًا داعيًا إلى تحويل إيجاد فرص عمل جديدة لأعمال إصلاح المدارس العامة، تجديدها، وتحديثها. نجحت في كسب تمديد تأمين البطالة، الذي اعتُمد في اليوم الأول من دورة الكونغرس الـ (108).

كنت معارضة صريحة لتقليصات إدارة بوش للضرائب، دعوت إلى العديد من التغييرات التي ستحسن حياة النيويوركيين إلى الأبد، لا أظن أن ناخبي نيويورك أخطؤوا حين انتخبوني. (قالت بخجل، ثم أضافت) أو أعادوا انتخابي.

كتاب مذكراتي تاريخ عشته نشر في عام 2003م، وبيعت ثلاثة ملايين نسخة منه في طول العالم وعرضه؛ ومع مرور الزمن تُرجم إلى العديد من اللغات الأجنبية بما فيها الصينية، أخيرًا شعرت كما لو كنت كاتبة حقيقية، مهنة طالما كنت قد رغبت في احترافها، للأسف كانت مبيعات الكتاب أقل من عدد مبيعات كتاب بل، الأمر الذي لا يكف عن تذكيري به، فأرد عليه: «أنا لست منتهية بعد، يا بل كلنتون! سأكتب سفرًا آخر سيتفوق رواجًا على كتابك!».

حين تطلب بل جراحة قلبية فورية في تشرين الأول/أكتوبر عام 2004م، أُصبتُ بقدر هائل من الكرب، فألغيت برامجي العامة جميعها لأبقى بجانبه،

لازمت سـريره ممسـكة بيده أربعًا وعشرين سـاعة؛ تصور فقده كان مثيرًا لقدر استثنائي من الألم، وجدتني أفكر: إذا رحل فسأرحل معه! اكتشفت وأنا بجانب سريره أن حياته ورخاءه كانا أكثر أهمية من عملي ومنصبي، من قال إنني لست زوجًا وفية؟!

أومأت. رأيت أنها كانت زوجًا رائعة.